المحاضرة الثانية عشر

التاريخ السياسي للأندلس الإسلامية :

الأندلس ليست بالكلمة العربية وقد اشتقها العرب من كلمة فاندلوسيا [1] وهو اسم مأخوذ من قبائل الوندال الجرمانية التي استقرت في تلك المناطق الجنوبية من إسبانيا، وأعطت اسمها إلى تلك البقاع قبل أن يطردها القوط الغربيون من هناك، وأطلق العرب أول مرة اسم الأندلس على إسبانيا الإسلامية جميعا وعلى شبه الجزيرة الأيبيرية كلها حينما سيطروا على معظمها ثم تقلص هذا الاسم تدريجيا مع تقلص الواقع السياسي حتى صار لا يدل على أكثر من جنوب إسبانيا.

وقد وصفها الحميري في الروض بقوله أن اسم الأندلس في اللغة اليونانية إشبانيا وهي بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة الفواكه والخيرات فيها دائمة وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق واللازورد. غير أنه يقول بأن اسمها كان (ابارية) ثم سميت (باطقة) ثم إشبانيا. نسبة لرجل ملكها في القديم اسمه إشبان ثم سميت بالأندلس. وهي جزيرة على شكل مثلث تضيق من ناحية شرق الأندلس[2]

---

[1] - ويقول الأستاذ جيمس كولان أن أصل الأندلس مشتق من فنداليشيا والتي تطلق على إقليم (BAETICA) .ج.كولان : دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : إبراهيم خورشيد وآخرون، ط 1، القاهرة، 1980، مج 2 ، مادة أندلس، ص 18 ؛ لكن المقري يورد لنا تفسيرا مغايرا نقلا عن ابن سعيد المغربي بقوله: "إنما سميت بأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح ، لأنه نزلها، كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها، وإليه تنسب سبتة . أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس دار صادر، بيروت، 1988، ج1، ص 125 ؛ للاستزادة حول وصف الأندلس ، أنظر: مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق: لويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ، 1983، ص ص 9 - 25؛ شكيب ارسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط 1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936، ج1، ص32.

[2] -الحميري : الروض المعطار ، ص32.

وجغرافيا تقع الأندلس جنوب غرب أوربا على شكل رأس متوغل في الماء[3].

فتح الأندلس :

كانت شبه الجزيرة الأيبيرية خاضعة لحكم القوط الغربيين ويتولى شؤونها الملك رودريك (لذريق) وقد ابغضه الناس ، وقد ساهم حاكم سبتة يوليان في مساعدة المسلمين على تسهيل أمور الفتح ، وقد أرسل موسى بن نصير إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك يستأذنه في الفتح فنصحه باستباق الفتح بحملات استطلاعية لتقصّى الحقائق عن الأندلس وفي سنة 91 هـ نزلت بعثة استطلاعية بقيادة طريف بن زرعة بالأندلس فلم تجد مقاومة تذكر وغنمت [4] .

في سنة 92 هـ عبرت قوات طارق بن زياد المضيق [5] وجمع جنده عند الجبل الذي يُعرف اليوم باسمه ، ومكث هناك أياما أقام خلالها قاعدة عسكرية لحماية ظهر الجيش ثم سار بجيشه شمالا وأقام معسكره بين وادي لكة ووادي برباط وأمدّه موسى بن النصير بخمسة آلاف جندي ليصبح العدد اثنا عشر ألفا ودارت معركة طاحنة بين الجيشين [6] وما زاد في خسارة رودريك هو تمرد فرق من جيشه وانسحابها (بحسب ما قيل) وبذلك حقق المسلمون نصرا باهرا [7] أما رودريك فقد أدركه المسلمون وقتلوه [8] .

---

[3] -شاكر مصطفى: الأندلس في التاريخ ، دار الاشبيلية، سوية، 2002 ، ص6.

[4] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص ص 105 – 106 .

[5] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط 2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989 ، ص 29 .

[6] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 106.

[7] مونتغمري وات ، في تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ترجمة : محمد رضا المصري ، ط 2 ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998 ، ص 29 .

[8] المقريزي : درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق : محمود الجليلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2002 ، مج 1 ، ص 483 .

بعدها توغل طارق بن زياد شمالا قاصدا طليطلة عاصمة القوط وفتح في طريقه حتى وصلها وافتتحها عنوة ففر رجال الدين وكبراء البلدة ومعهم الكنوز والذخائر فلحقهم المسلمون وغنموا منهم ، ثم أرسل طارق بن زياد قوات ففتحت البيرة وغرناطة وقرطبة ، ثم أدركه موسى بن النصير بجيوشه (08 آلاف) وواصلا الفتح معا ففتحوا اشبيلية وسرقسطة حتى وصلوا إلى أطراف الأندلس الشمالية .

والملاحظ أن فتح الأندلس لم يستغرق سوى ثلاث سنوات وفي سنة 95 هـ تم تنظيم شؤون المناطق المفتوحة واتخذ الفاتحون اشبيلية عاصمة لهم وترك موسى بن النصير ابنه عبد العزيز واليا على الأندلس فقضى أيامه في فتح ما تبقى من الأندلس [9]

مراحل الحكم الإسلامي للأندلس

أولا : عصر الولاة 95 – 138 هـ

يبدأ هذا العصر منذ أن غادر موسى بن النصير الأندلس وينتهي عند بداية الإمارة الأموية وآخر والي هو يوسف بن عبد الرحمان الفهري ، وقد كانت الأندلس في هذه الفترة ولاية إسلامية كغيرها من الولايات يتولى شؤونها والٍ يعينه الخليفة في المشرق ، وقد عمل الولاة على إصلاح الأوضاع واجتذاب الأسبان للدخول في الإسلام كما واصل الفاتحون الجهاد ونشر الإسلام كما فعلوا في بلاد الغال (غاليا أو فرنسا) ، غير انه سجلت أحيانا بعض الفوضى والنعرات العصبية ، وعلى العموم فقد كانت هذه المرحلة تثبيتا للحكم الإسلامي في المنطقة [10]

[9] مونتغمري وات : المرجع السابق ، ص ص 30 – 31 .

[10] مجموعة مؤلفين : التاريخ الأندلسي من خلال النصوص ، ط 1 ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، 1991 ، ص ص 6 – 8 .

وقد حكم الأندلس في هذه الفترة 22 وال من أشهرهم عبد العزيز بن موسى ، يوسف الفهري ، عبد الرحمن الغافقي ، عقبة بن الحجاج السّلولي ، يحي بن سلامة الكلبي ، عنبسة بن سحيم ، حذيفة بن الأحوص القيسي .

ثانيا : عصر الإمارة الأموية : 138 – 316 هـ

بعد سقوط الحكم الأموي في المشرق على يد العباسيين سنة 132 هـ تمكن احد دُهاة الأمويين واسمه عبد الرحمان الداخل الملقب بصقر قريش من الفرار من قبضة العباسيين ووصل إلى الأندلس وتمكن من تأسيس إمارة سنة 138 هـ وقد جعل قرطبة قاعدة لحكمه وتمكن من توحيد المسلمين والقضاء على الاضطرابات كما وسع دولته بجهاده للنصارى ، وقد نجح من جاء للحكم بعده في الحفاظ على المكتسبات الموروثة [11]، غير أن هناك بعض الاضطرابات التي ضربت مفاصل الدولة مثل ثورة الربض سنة 202 هـ [12] أو ثورة عمر ابن حفصون 267 هـ ، أو حركة ابن القط (احمد بن معاوية بن محمد) التي انتهت بمقتله في 288 هـ .[13]

ومن أشهر حكام هذه الفترة عبد الرحمن الداخل ، ابنه هشام ، الحكم الأول ، عبد الرحمن الأوسط ، محمد الأول ، المنذر... [14] .

ثالثا : عصر الخلافة الأموية 316 – 422 هـ

تبدأ هذه المرحلة بإعلان عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة للدولة الأموية ليتحول الحكم الأموي من الإمارة إلى الخلافة سنة 316 هـ وقد شجع هذا الخليفة ضعف الخلافة العباسية في المشرق وتقطع أوصالها وكثرة الحركات الانفصالية شرق وغربا ، كما استغل هذا الضعف الفاطميون الذين ادعوا الخلافة ، وبذلك استغل عبد الرحمان الفرصة ونصّب نفسه خليفة مُلقِّبا نفسه بالناصر لدين الله

---

[11] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 108.

[12] مجموعة مؤلفين ، التاريخ الأندلسي ، ص 24 .

[13] نفس المرجع ، ص ص 29 – 31 .

[14] مونتغمري وات : المرجع السابق، ص ص 45 ، 50 .

،[15] وكانت عاصمة ملكه قرطبة ، وخلال هذه الفترة شهدت الأندلس تطورا حضاريا ، فقد تطورت الفلاحة وتوسعت المساحات المسقية وتنوعت المحاصيل وانعكس ذلك على الحالة الاجتماعية إذ ساد الرّفاه والتناغم الاجتماعي بين عناصر المجتمع المختلفة وازدهرت الحياة الفكرية والعلمية بشكل عام ، لتصبح الأندلس مقصدا لطلبة العلم والفقهاء ، غير أن العامريين (محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور) حجزوا على الخليفة هشام الثاني واستولوا على الحكم وضيقوا على الفكر واتلفوا مكتبة الحكم المستنصر المشهورة وهو ما كان نذيرا بأفول حكم الأمويين في الأندلس [16].

ومن أشهر الخلفاء الأمويين بالأندلس ، المستنصر ، الناصر لدين الله ، هشام الثاني ، هشام الثالث ... الخ

رابعا : عصر ملوك الطوائف 422 – 484 هـ

بعد سقوط الخلافة الأموية في قرطبة وعزل آخر خلفائها هشام الثالث تفرق أمر المسلمين بالأندلس إلى مجموعة من الدويلات الصغير عُرفت في الاصطلاح التاريخي بملوك الطوائف [(17)] ، ومن هذه الدويلات دولة بني جهور في قرطبة [(18)] ودولة بني عباد في اشبيلية وبني الأفطس في بطليوس وبني ذي النون في طليطلة [19] ونظر لوجود

---

[15] عبد العزيز شهي : المرجع السابق ، ص ص 108 - 109 .

[16] مجموعة مؤلفين ، التاريخ الأندلسي ، ص 40 – 42 .

[17] - أسعد حومد : محنة العرب في الأندلس ، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988، ص96.

[18] -ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 1، ص185. يمكن الاستزادة أكثر حول أحوال المسلمين عموما وملوك الطوائف خصوصا بالنظر إلى :رينهرت دوزي : المسلمون في الأندلس، ترجمة ، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1994 ، 03أجزاء ؛ أسعد حومد : المرجع السابق ، ص96.

[19] - عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 54 وما بعدها ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ج 3 ، ص193 .

هذا التشتت المقيت فإن أمور المسلمين كانت تميل إلى الضعف أكثر منها إلى القوة، كما ساهم ذلك في ظهور العنصرية الهدامة بين المسلمين سواء كانوا عربا أو بربرا أو صقالبة بل وصل الأمر إلى [20] استعانة بعضهم بالنصارى الكفرة على إخوانهم المسلمين ، حيث وجدوا ذلك سيفا مسلطا على إخوانهم [21] .

إن هذا الانقسام ترك الأندلس في فوضى منقطعة النضير حتى ضم المرابطون الأندلس وأزاحوا هذه الإمارات المتناحرة .

خامسا : الأندلس المرابطية والموحدية 484 – 624 هـ

إن الفرقة التي سادت بين ملوك الطوائف جعلت النصارى يتكالبون على الأندلس وتتفاقم حركة الاسترداد المسيحي ووصل الأمر إلى دفع المسلمين الجزيات والإتاوات إلى ملوك النصارى [22] ، وبعد ذلك وقعت طليطلة في يد الفونسو السادس سنة 485 م [23] .

استنجد أمير اشبيلية المعتمد بن عباد بالمرابطين الذين لبوا النداء وعبروا وهزموا النصارى في وقعة الزلاقة 479 هـ ، التي وصف لنا فيها عبد الواحد المراكشي نصر

---

[20] - عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ،ص 65 وينقل لنا بيتين من الشعر عن ابن رشيق في وصفه ذلك في الصفحة 53 بقوله:

مما يزهدني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتـــــضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي إنتفاخا صولة الأسد.

كما أورد ابن صاعد الأندلسي المعاصر لملوك الطوائف (توفي 462 هـ / 1070 م) في كتابه طبقات الأمم حال الأندلس بعد سقوط قرطبة ومجيء ملوك الطوائف بقوله : ((ولم تزل مركز ملك المسلمين بها (أي قرطبة) إلى زمان الفتنة وانتشار الأمر على بني أمية فافترق عند ذلك شمل الملك بالأندلس وصار إلى عدة من الرؤساء حالهم كحال الطوائف من الفرس)) . ابن صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، نشر: لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1912 ، ص 63 .

[21] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 718.

[22] عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص ص 65 – 66 .

[23] مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص 39 .

المسلمين ونكسة النصارى بقوله : ((فكان هذا أحد الفتوح المشهورة بالأندلس أعز الله فيه دينه وأعلى كلمته، وقطع طمع الاذفنش - المقصود به الفونسو السادس - لعنه الله عن الجزيرة بعد أن كان يقدر أنها في ملكه، وأن رؤوسها خدم له)) [24] ، بينما وصف ابن ابي زرع ذلك النصر بقوله : ((وأظهر الله تعالى الإسلام وأعز أهله ، وكتب أمير المسلمين بالفتح إلى بلاد العدوة، وإلى تميم صاحب المهدية، فعمت المفرحات في جميع بلاد افريقية وبلاد المغرب والأندلس وإجتمعت كلمة الإسلام ، وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى على صنعه الجميل وفضله)) [25] .

وبعد الانتصار في معركة الزلاقة ضم المرابطون الأندلس بشكل نهائي سنة 484 هـ ، وفي نهاية عهد الدولة المرابطية كثرت الفتن والثورات بالأندلس وهو ما شجع الأسبان على الوثوب من جديد على المدن الإسلامية ، وبعد سقوط المرابطين سنة 541هـ ظهر الموحدون على مسرح الأحداث وبدؤوا في مقارعة الأسبان من جديد [26] ، وقضوا على ابن مردنيش المتحالف مع النصارى ، وأوقعوا عدة قلاع من جهة البرتغال ثم انتصروا نصرا ساحقا في وقعة الأرك سنة 1195 م ، لكن موقعة العقاب سنة 1212 م كانت بداية النهاية للحكم الموحدي بالمغرب والأندلس [27] ليتقلص الحكم الإسلامي هناك ويقتصر على مملكة بني نصر.

---

[24] عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص95

[25] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص149 .

26 عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 110.

[27] مونتغمري وات : المرجع السابق ، ص 118 .

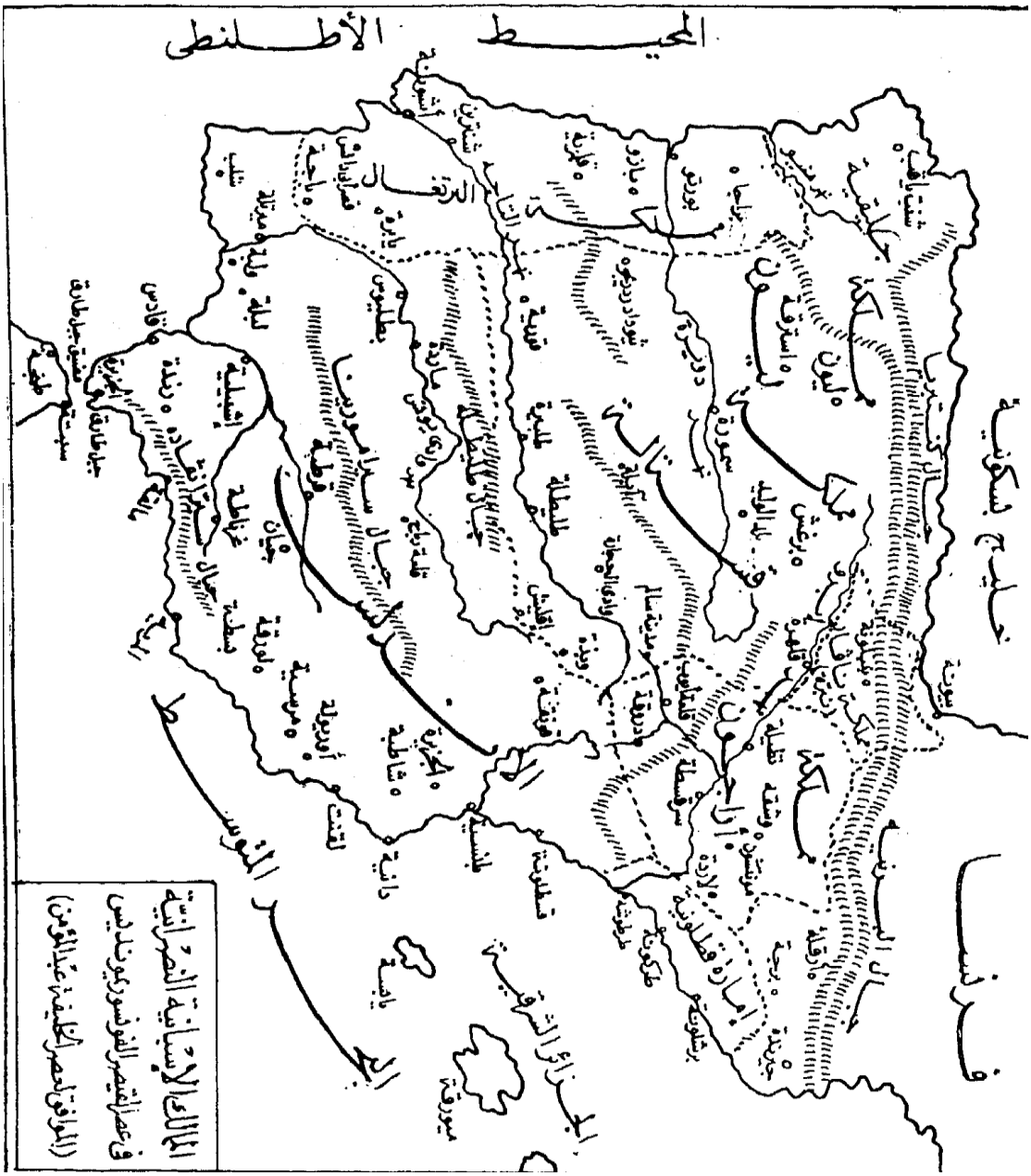

الشكل رقم 2 : خريطة الأندلس الموحدية والممالك النصرانية [28]

[28] عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 503 .

سادسا : مملكة بني نصر (بنو الأحمر) 635 – 897 هـ

تقلّص الحكم الإسلامي وتهاوت المدن الإسلامية في أيدي النصارى ليستقروا في غرناطة ويبايعوا محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر والتي ازدهرت فيها العلوم والفنون والعمارة ومنها قصر الحمراء [29] وتطورت البنية الاقتصادية للدولة وتنوعت المحاصيل وطرق الزراعة والري ، وقد استطاع النّصريون الصمود لمدة طويلة ضد الأطماع النصرانية لحصانة غرناطة الطبيعية وتحصنها بالجبال ، كما استنجد النصريون ببني مرين لدرء الخطر النصراني عليهم [30] ، غير أن مملكة غرناطة لم تكن لتصمد أكثر من هذا الحد إذ في الوقت الذي ضعفت الحكومة النصرية تعاظمت قوى النصارى خاصة بعد اتحاد مملكتي قشتالة واراغون مشكلتان اسبانيا الحالية وبذلك داهمت قوات النصارى غرناطة منهية الحكم الإسلامي[31] في 1492 م / 897 هـ بعد أن عمّر ثمانية قرون .

إن زوال الحكم الإسلامي لم يكن ليحدث دون مسببات بل ساهم فيه تناحر ملوك الأندلس والكيد لبعضهم بل ووصل بالبعض إلى الاستعانة بالنصارى ، وفي المقابل تعاظمت قوى النصارى واتحدت ضد الدولة الإسلامية بمساعدة البابوية ، ضف إلى ذلك توحد مملكتي قشتالة وارغون ضد النصريين الذين ضعفت همتهم وتآمروا على بعضهم [32]

بعد سقوط الحكم الإسلامي في الأندلس بقي بعض المسلمين تحت حكم النصارى ويعرفون في الاصطلاح التاريخي بالمورسكيين الذين أُضطهدوا وأُقيمت لهم محاكم التفتيش حتى رحلوا إلى شمال افريقية هربا بأرواحهم ودينهم .

---

[29] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص ص 110 – 111 .

[30] مجموعة مؤلفين ، التاريخ الأندلسي ، ص 214 .

[31] مونتغمري وات : المرجع السابق ، ص 159 .

[32] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص ص 112 – 113 .